التراث والمعرفة والمنهج
"دراسة في مقاربة الجابري النقدية"

*ضرار علي بني ياسين**

ملخّص

بحثت الدراسة في إشكالية التراث في الفكر العربي المعاصر، اعتماداً على المقاربة النقدية التي قدّمها محمد عابد الجابري في قراءته للتراث العربي الإسلامي، بخاصة أن بحوثه في التراث تصدّرت معظم كتاباته، ورافقت جهوده البحثية لأزيد من أربعة عقود عندما وجد أنها أضحت الشغل الشاغل لعدد من المفكرين العرب المعاصرين، سيما عندما حصلت أشكلتها ومضاهاتها بمسألتي النهضة والحداثة.

وهدفت الدراسة إلى تحليل الأُسس الأبستمولوجية والمنهجية، التي حكمت مشروع الجابري في قراءة التراث، وكذلك استقراء مستويات هذه الأُسس في خطابه النقدي، فضلاً عن نقده للقراءات الأخرى التي تناولت التراث. وتعود أهمية الدراسة في أنها تعتمد على كتابات الجابري بشكل رئيسي، ومن محاولة تسليط الضوء على مدى مُفارقة قراءة التراث لدى الجابري عن القراءات الأخرى من مُجايليه وغيرهم.

وخلصت الدراسة إلى أن القراءة النقدية البديلة التي اقترحها اعتمدت على أُسس منهجية مُستمدة من حقول العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة، مثلما أن قراءته لم تهدف إلى تبنّي القطيعة بالمعنى الدارج مع التراث، بحسبانه أن كل قراءة للتراث غرضها توظيف ما بقي صالحاً منه اليوم في شؤون حياتنا، وقضايانا المعاصرة، دعماً لمستقبل النهضة العربية خاصتنا، وكذا دخولنا في الحداثة.

الكلمات الدالة: التراث، الحداثة، التراث والمنهج.

المقدمة

البحث في قضية التراث الكلِّي العربي – الإسلامي، شأن معرفي استهله المفكرون العرب منذ مبتدأ عصر النهضة العربية الأولى، عندما تصدّرت مشكلة الأسئلة الخاصة بطرائق ومنهجيات قراءة هذا التراث وتحديد الموقف منه أو مسألة جدوى البحث في الإفادة منه في قضايا الحاضر دراسات، وذلك بإزاء الحضور المكثّف للثنائيات المتضادة في أغلب الأحيان وبدأت تشيع في الخطاب الفكري العربي، من قبيل "التراث والحداثة"، "التراث والنهضة"، "التقليد والتجديد"، وغيرها من الثنائيات التي أصبحت متداولة وذائعة الحضور منذ أزيد من قرن ونصف، عندما طرح السؤال الاستشكالي الشهير "لماذا تقدم الغرب/ أوروبا، ولماذا تأخر العرب/ المسلمون؟".

والواضح أن مسألتي التقدم والحداثة بموازاة التناظر مع التراث، قد أهاجت عقول المفكرين العرب اللاحقين في الفكر العربي المعاصر، فعاد الرجع المُستأنف في قراءة التراث والعناية به يحتل أولوية كبرى لدى الكثيرين منهم وعلى أساس وضع سؤال التراث والحداثة وضعاً جديداً.

ومن هنا فإن اندراج مشكلة التراث في جُلّ منتوجات الفكر العربي، وطرحها في صميم القضايا الفكرية الكبرى الخاصة بالواقع العربي الإسلامي، لا يُعدّ أمرًا ينمُّ عن بِدعة أو تفضّل، لأن العرب في الحقيقة يبدو أن تراثهم في كثير من الأحيان يشغلهم بسويّة

* أستاذ مساعد، قسم الفلسفة، الجامعة الأردنية.
تاريخ استلام البحث 2017/3/30 وتاريخ قبوله 2018/1/14.

© 2018 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

أعلى شأنًا وأبعد شأواً من شأن حاضرهم ومستقبلهم، كونهم يعيشونه ويتمثلونه في معيشهم الحياتي والثقافي، أكثر من تمثّلهم لأي شأن آخر، حتى أن البعض يعتقد أن العرب يَذْهَلُونَ عن حاضرهم لحساب ماضيهم الذي يغتربون فيه.

وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي أُنفقت في قراءة التراث وتحليله ودراسته، وازدحام الأسئلة الشائكة التي خِيَضْت في جدل الإجابة التي تدور حول قيمته المعرفية وقيمته التاريخية، فنحن لا نزال نعاين مسألة دوره وأهميته ووظيفته في شؤون الحاضر خاصَّتنا، حتى أن هذه الجهود لم تنحسر بقدر ما تمخضّ عنها تيارات واتجاهات مُتباينة اختلفت فيه وعليه، وتباعدت المواقف بين متعصب للتراث لا يُغادر عباءته الثقافية ورسوماته المعرفية، بحسبان أنه جمع فأوعى، ولا تعقيب عليه، وبيّن من يؤذِّن في الناس، داعياً إلى القطيعة التامة مع التراث، وبين من هو ألين شكيمة وأَدعى إلى الوسطية، داعيًا إلى توفيقية جامعة بين التراث والعصر، أو الأصالة والمعاصرة.

وهذه الدراسة مع كونها تختار أنموذجاً واحداً ممثلاً بالمفكر محمد عابد الجابري، وتهدف إلى الوقوف على محطات الفكر عنده، والخاصة بمقاربته لإشكالية التراث، إلاّ أنها تُعدّ وثيقة الصلة بالمشكلة الأساسية المتعلقة بالتراث التي أشغلت الفكر العربي كما أسلف القول، ودارت حولها سجالات، تراوحت بين العلمي والمعرفي والأيديولوجي. والواقع أن جهود الجابري تعاصرت مع جهود جادّة ودؤوبة من مُجَابِليه في الفكر العربي المعاصر، بعضها توسّم رسم مشاريع بحثية كبرى في التراث. لكن ما بدا صحيحاً دائماً في كل هذه الجهود والقراءات هو أنها طمحت إلى الوصول إلى تسويات معرفية وتاريخية مع هذا التراث، تمهيداً للانطلاق إلى مشروع الحاضر، المتمثل بإنجاز النهضة والتقدم في عالم العرب وحاضرهم.

علماً بأنه وُجِدُ هناك من يرى أن قضية التراث "ستظل أحد هواجسنا الرئيسة في السنوات القابلة من هذا القرن، وإلى أنها إن لم توضع بعد ذلك وضعاً صحيحاً، قد تصبح مصدر قلق مقيم وحيرة دائمة للأجيال التي ستنحدر من أصلابنا". (جدعان، 1985، ص13).

– التراث في فكر الجابري:

أشار الجابري في مقدمة كتابه "التراث والحداثة" (الجابري، 1999، ص8)، إلى مسألة اندراج جهوده البحثية الفكرية، وانحصارها منذ سبعينات القرن العشرين في حقل التراث العربي الإسلامي، مكللاً هذه الجهود بمشروع فكري نقدي شامل، تغيًا من ورائه تحصيل أفكار المتقدمين من المفكرين والعلماء المسلمين ودراسة علومهم التي انتجوها. وشكَّل مشروعه في نقد العقل العربي في أجزائه الأربعة ذروة سنام هذه الجهود، فضلاً عن كتبه الأخرى التي جاءت مُتممة للبحوث المتسقة مع هذا السياق، أخصّها كتب "نحن والتراث" و"التراث والحداثة" و"إشكاليات الفكر العربي المعاصر".

يحاجج الجابري بأن الدافع إلى دراسة التراث مسألة تفرضها حاجتنا إلى تجديد النظر فيه فضلاً عن وضع المنهجية الملائمة للتعامل معه، وكذلك ضغط قضايانا الراهنة علينا، وهذا من شأنه أن يقدم خدمة للحداثة وتأصيلاً لها (الجابري، 1999، ص18)، وفي الوقت نفسه "بلورة منهج ورؤية يستجيبان لجانب من اهتماماتنا الفكرية المعاصرة" (الجابري، 1999، ص9).

وهنا يحترز الجابري بأن كل مُقاربة للتراث بغرض تجديد أسس التواصل معه، لا يمكن أن تعني بأي حال وضع الحداثة نقيضاً للتراث أو نفياً له. فالإمكان المعرفي والتاريخي الخاص بالتراث، ينطوي على اقتناع راسخ بأنه يحوي عناصر ومعطيات تلتقي أصولها مع أصول الحداثة نفسها. عندئذ نفهم أن مشروع القراءة – النقد عند الجابري، يظهر كموقف إشكالي – نقدي صريح، وهو يندرج بالأساس في نطاق أسئلة التراث نفسها أولاً وقبل كل شي، لا من وضعية مقابلة هذه الأسئلة أو مُضاهاتها مع أسئلة الحداثة. (عبد اللطيف، 1997، ص31).

إن البسط والتوسع في تسليط الضوء على عناصر المقاربة الخاصة بمشكلة التراث، يفرض القول بأن العودة إلى هذا التراث، لا تعني مجرد الاستعادة الشاملة له، واستدعائه أمام مشكلاتنا الراهنة، ولكنها بالحري عودة ترتبط موضوعياً بتأوله أو تأويله، على أساس أن التأويل معناه هنا، البحث داخل المعرفة التي انتجها العقل العربي الإسلامي على مدى قرون من تاريخ الإسلام. بيد أن التراث بهذا المعنى واسع وشمولي لا يقتصر على عناصر ونظريات ومضامين مثالية وروحانية وغنوصية فحسب، وإنما أيضاً عناصر عقلانية وواقعية ومادية، وهذه جميعها تشكل غاية التأويل. وهكذا فإذا كان الهدف في صيغته الضيقة ينحصر في إنجاز موقف من التراث، فإن

التأويل يُوسِّع نطاق إبستمولوجيا المعرفة، ليكون التصور السليم للمسألة هو إنجاز موقف من داخل التراث. وبمعنى آخر فبعد أن كان التراث يستقر قراءة وفهماً في حقل المقاربات الأيديولوجية بوصفه معرفة لا تفيد في فهم مشكلاتنا المعاصرة، يمكنه أن يصير معرفة يستلزم الحال تأويلها للكشف عن المواقف التي تدعم ضمنها الموقف الأيديولوجي الراهن.

من واقع إجالة النظر في الأسئلة المُستأنفة في كل وقت من المشتغلين بالفكر العربي المعاصر في العقود الأربعة الأخيرة، يُلاحَظ أن مشكلة العلاقة مع التراث ارتبطت دائماً بزاوية النظر الفلسفية الخاصة بفهم مسألة تاريخية هذا التراث وموضوعيته. وفي ضوء نظرة الجابري التي بشَّر بأنها نظرة نقدية تطال جميع المناهج وزوايا النظر التي درست التراث. يقترح منهجه الخاص في مقاربة هذا التراث المستند إلى عناصر وإجرائيات مستمدة من مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية المعاصرة. (ندوة، 1986، ص33).

انعقدت الغاية، عنده، في هدف مُؤدَّاه تحرير العقل العربي من سلطته المرجعية وبِنيته التقليدية التي عرقلت فهمه للقضايا المطروحة عليه وتحليلها بطريقة موضوعية، بيد أن انجاز هذا الهدف لا بُد أن يمرَّ بعملية الممارسة العقلانية عند التصدِّي لشؤون الفكر والحياة، وفي مقدمة ذلك ممارسة العقلانية النقدية على التراث الذي يحتفظ بسلطته على هذه الشؤون التي تخصنا ولو بشكل بنيه لا شعورية فينا. (الجابري، 1992، ص 552، 567).

ومثل هذا الفهم للمسألة التراثية يستوجب قيام جهد نظري نقدي كبير يخص القراءات التي اشتغلت في مقاربة التراث. وهي – بحسب الجابري – قصّرت معرفياً ومنهجياً عن الأساس المعرفي الصحيح للقراءة، وكانت عاجزة بالتالي عن وضع مُعادل موضوعي أو مكافئ إبستمولوجي، ينطلق من أسس منهجية مناسبة. وبالنتيجة فإن هذه القراءات لبست أثواباً أيديولوجية، ومن شأنها أن تنتج أيديولوجيا وحسب. (الجابري، 2006، ص12).

والواضح أن تأسيس النظر حول العلاقة مع التراث والموقف منه ضمن شروط معرفية أيديولوجية، هو بالضبط ما حاول الجابري لفت الأنظار إليه، وهذا يشكل أساس الجدل في طرح مشكلة التراث، من حيث فحص نوع العلاقة بين الشروط الأيديولوجية لطرح مشكلة التراث، وبين إلزاماتها الإبيستمولوجية من ناحية أن الجابري كان دائماً يفكر بأن التراث قيمة معرفية، وأيضاً قيمة أيديولوجية في الوقت نفسه.

وبحسب الجابري فإن المرتكز الذي يستند إليه الانتظام في قراءة التراث في ضوء ما أسماه بالعقلانية النقدية، من شأنه أن يسمح بأَشكلة قضية التراث، ويسِّهل العودة إلى الأصول التأسيسية الأولى لبدايات تشكله وإنتاجه في الأزمنة البعيدة، والمطلوب من الباحث أن يتمثَّل أو يستوعب المسافة الفاصلة بيننا وبين التراث ومضامينه المعرفية والأيديولوجية والمعيارية، وهذا الأمر يتطلب تحقق رؤية جديدة ترسم معالم الطريق عند التعامل مع التراث بصفة عامة، وفهمه في ضوء تاريخيته (تراث تاريخي) بالدرجة الأولى، وصولاً إلى إيجاد موقف صحيح من قضايانا الفكرية الراهنة (الجابري، 1999، ص25، 33).

يتضح للتو أن قراءة الجابري للتراث وفقاً للطريق المنهجي المقُترح من لدنه، يتمحور غرضها في تقديم رؤية مجددة في التراث تحرره من المأزق المعرفي الذي وقعت فيه القراءات الحديثة والمعاصرة، لكنه وهو يُدرك أهمية المنهج في القراءة، فهو لم يلزم نفسه بأي منهج قبلي جاهز يطبقه على هذا التراث (ندوة، 1986، ص131)، واكتفى بالعديد من الإجرائيات التي تُمثّل عناصر إرشادية تخص المنهج، وهي عبارة عن خطوات إجرائية في العمل، من قبيل المعالجة البنيوية، والتحليل التاريخي، والطرح الأيديولوجي، (الجابري، 1999، 32، 47).

يعتمد التصّور الذي يتبناه الجابري ويقترحه عند التعامل مع التراث تعاملاً علمياً، على مستويين معرفيين، هما، مستوى الفهم، ثم مستوى التوظيف، فعلى المستوى الأول "ينبغي استيعاب تراثنا ككل بمختلف منازعه وتياراته ومراحله التاريخية"، وفي المستوى الثاني، علينا أن "نُنتجه (=التراث)، أكثر وأكثر إلى أعلى مرحلة وقف به التقدم" (الجابري، 2006، ص53).

لا يغفل الجابري في هذا الخصوص عن أن كل قراءة للتراث تُعّد عملية إعادة إنتاج له من جديد، وبصورة جديدة، لكن يجب أن تتضمن عنصرين لازمين للمعرفة العلمية به، هما، التمثل والاستيعاب من جهة، ثم عنصر التوظيف الخاص بالتراث من جهة أخرى. وسوى ذلك فإن القراءة إما أن تقربنا من مضامينه الحقيقية أو أنها تبعدنا عن هذه المضامين. ومن هنا نفهم اشتراطه الأول الخاص بممارسة العقلانية النقدية المراعية

للخطوات الصحيحة للقراءة.

ويقتضي الحال من دارس التراث أن يختار من عناصره ومضامينه ما يرى أنه مُفيد في شؤون الحاضر، بيد أن ذلك لا يعني التعامل مع التراث بطريقة تماثل التراث كما عاشه الأسلاف، إنما هو تعامل الوعي مع ما بقي منه صالحاً "لأن يعيش معنا بعض مشاغلنا الراهنة، وقابلاً للتطوير، ليعيش معنا مستقبلنا، وذلك هو معنى الأصالة" (الجابري، 2006، ص53).

فالتراث يشتمل بنظر الجابري على "محتوى معرفي"، هو مادّة ميتة غير قابلة للحياة من جديد، كونها منوطة بتاريخيتها الخاصة بها، وواكبت راهنية خاصة بحاضرها الذي هو ماضٍ بالنسبة لنا، "ومضمون أيديولوجي"، يمكن أن يكون له بشكل من الأشكال حياة أخرى يظل يحياها على مرّ الزمان في صور مختلفة. (الجابري، 2006، ص53).

ومن هذه الزاوية فالتراث لا يمكنه بالنسبة إلينا أن يعني "حاصل الممكنات التي تحققت، بل يعني كذلك حاصل الممكنات التي لم تتحقق وكان يمكن أن تتحقق، فهو ليس ما كان، وإنما بصورة دقيقة ما ينبغي أن يكون" (الجابري، 1999، ص24).

والواقع أن الجابري يعُنى كثيراً بالمضمون الأيديولوجي في التراث، لأنه ببساطة يجد فيه الجانب الذي يمكن استثماره بطريقة واعية في تنشيط الميكانزمات الخاصة بشؤون حيواتنا وواقعنا المعاصرين، كما أنه يُعوّل فيه على تحفيز الممكن التاريخي أثناء عملية الانتقال والتغيير. ولأن التراث يشكل حلقات متصلة بين الماضي والحاضر والمستقبل، فإنه يبقى على تواصل دائم فينا، وهنا، بالذات يمكن فهم معنى اندماج حقول المعرفي والأيديولوجي والوجداني في التراث، كما يُوظف في الخطاب الحديث والمعاصر. (الجابري، 1999، ص24).

هكذا يتخذ الجدل بين ما هو معرفي وما هو أيديولوجي صورة واحدة بينهما، فاستعادة التراث تكون استعادة معرفية وأيديولوجية في نفس الوقت، مثلما أنها تكون محاولة لاستعادة عناصر من التراث خدمة لقضايا أو مواقف أيديولوجية راهنة، ما يتطلب أن نتسلح عند الاتجاه لمعرفة ما بهذا التراث بأقدر المناهج الجديرة بتمكيننا من معرفته في ذاته؛ والوصول إلى العناصر التي يمكن أن يكون لها قيمة بموازاة قضايا الفكر العربي الراهن أو في آفاق مستقبله، بيد أن المعرفي الخاص بالتراث من غير ميكانزم الأيديولوجي فيه، لا يشكل أزيد من مادّة لها قيمة تاريخية فقط، وبالمثل فإن الأيديولوجي من غير المعرفي، مآله التعامل مع مادّة معرفية وإصدار الأحكام عليها دون معرفتها في ذاتها.

مثل هذا التآخذ في عملية جدل المعرفي والأيديولوجي قائم في مضمون التراث وموضوعه، وهو كذلك متمكِّن في الذات (ذاتنا) العاجزة عن الوصول إلى تقييم موضوعي لموضوعها، ما يستدعي امتلاك أدوات منهجية معرفية ناجعة، من أجل فك الالتباسات في هذا الجدل الذي لا ينتهي، وتمثله تيارات الفكر العربي المعاصر كلها.

ولأجل فهم المطلوب بتمامه عند الجابري من عملية القراءة والنقد للتراث، يجب موضعة قراءَته وإنزالها في موازاة أو قبالة القراءات الأخرى، المعاصرة منها على وجه الخصوص، التي برزت في الخطاب العربي المعاصر، وجلّها محاولات على دروب إحقاق النهضة والحداثة والتقدم في دنيا العرب.

يُحاجج الجابري بأن الرؤى التي تحصّلت عن التراث في الخطاب العربي المعاصر جميعها رؤى سلفية، حتى وإن اختلفت شكلياً في المرجعيات النظرية والأُطر المعرفية، وعليه فالمهمة الفكرية الأولى ينبغي أن تستند ابتداء إلى دراسة العقل العربي المسؤول عن إنتاج هذه الرؤى، ومعرفة الشروط المتحكمة بهذا العقل ووجهته نحو وِجْهة مخصوصه لا يُنتج بعدها غير هذه الرؤى السلفية حول التراث. وحيث أننا نعلم بداهة بأننا لا نملك دراسة العقل بطريق مباشر، فيلزم إذن دراسته من خلال الخطاب الذي ينتجه ويقدمه.

تبدو الرؤية واضحة بالنسبة للجابري، إذ إن تحديث العقل العربي، لا يُتصَّور حصوله من دون الانتباه إلى مسألة التراث الكلّي، ومن دون الالتفات الغائص إلى أهميته وعناصره ودوره، وما يمثله في وجدان وثقافة وفكر الإنسان العربي، وإذن فالدعوة إلى تحديث العقل تقتضي قراءة جديدة للتراث. هنا يمكن أن نعتبر الجهود التي قام بها في بحوثه الخاصة بالتراث منذ اطروحته حول ابن خلدون بمثابة إعادة مجددة لقراءته على أساس هدف واضح مقصود، مُؤداه – كما أُسلف – هو أن نعمل على تحرير العقل العربي من سلطاته المرجعية وتغيير بنية هذا العقل التي أعاقته عن فهم وتحليل القضايا المطروحة عليه تحليلاً علمياً موضوعياً. (الجابري، 1992، ص567).

وَضَحَ إلى الآن أن الجابري يربط بين تحديث العقل العربي وبين اشتراطات القراءة الجديدة أو المجددة للتراث، التي تقوم على إعمال العقل النقدي، ما يسمح لنا بشرعنة قيام علاقة جدلية بين تحديث العقل وبين نقد التراث، بصورة تحقق الفهم المناسب بقضايانا المعاصرة، ذلك أنه إذا كانت النهضة ما تزال تشكل هدفاً، فإنها تتطلب في المقابل الانتظام الواعي بالتراث، بحسبان أن الشعوب لا تحقق نهضتها بالانتظام في تراث الآخر، من دون إغفال أهمية الاستفادة من معطيات المنهجيات المعاصرة كما استقرت في حقول العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة. بمثل هذا يتحقق – بنظر الجابري – شرطا النهضة، وهما، زرع الروح النقدية الجديدة، وزرع عقلانية مُطابقة لموضوعها. (الجابري، 1999، ص33).

ومع ذلك فإن هذه الرؤية التي يقدمها تستلزم تحقيق شرط مقدم إبستمولوجيا ونقدياً والمتمثل بـ"تجديد العقل العربي" وذلك "بإحداث قطيعة إبستمولوجية تامة مع بنية العقل العربي في عصر الانحطاط وامتداداتها إلى الفكر العربي الحديث والمعاصر". (الجابري، 2006، 24).

لا بُدّ من الإشارة هنا إلى أن مفهوم القطيعة الأبستمولوجية يثير التباسات وإشكالات عندما يتعلق الأمر بدراسة حقلي التراث والعقل العربيين. أما فهم الجابري لمعنى القطيعة المعرفية بما هو مفهوم مُستعار من الإبستمولوجيا العلمية الوضعية، والفلسفة الباشلارية بوجه خاص، فيبدو أنه فهم لا يدعو إلى قطيعة مع التراث نفسه، وإنما قطيعة "مع الفهم التراثي للتراث"، وكذا التحرر من الرواسب التراثية في فهم التراث وفي مقدمتها طريق القياس، (النحوي والفقهي والكلامي) في صورته الآلية اللاعلمية. (الجابري، 1999، ص15).

من حيث المبدأ وجد الجابري بأنه من غير الممكن تبني التراث كله بقضه وقضيضه، لكونه ينتمي إلى الماضي، إذ من الخطأ الاعتقاد بأن مضامينه وقضاياه موجودة في الحاضر، مثلما أنه لا ضرورة أن يكون حضورها في المستقبل على مستوى حضورها في الحاضر. وكوننا نمارس العقلانية النقدية في قراءة التراث، فليس معنى هذا أننا نرفض التراث بصورة كلية، ولكننا بالحري نقوم بممارسة نقدية تحترم خصوصيته التاريخية وعالميته في آن معاً، وترشدنا إلى تلمس الطريق عند اتخاذ معيار الاختيار في الإفادة منه في شؤون الحاضر.

وبالنظرة المتعمقة نلاحظ أن مشروع الجابري في مقاربة التراث استند إلى دعامتين – دعامة المرجعية والاستئناف، أي اعتماد الجوانب القابلة للاستئناف في الحاضر من هذا التراث، وجعلها منطلقاً للاستمرار، وذلك انطلاقاً من رد التراث إلى الوجهة التي انحرف عنها مساره، بمعنى وجهة تحقيق العقل العربي استقلاله عن سلطات السلف. وهذا مسار يَستلزم تأسيس عصر تدوين عربي جديد. (الجابري،1992، ص566).

وثانياً، دعامة التأسيس، من جهة أنه "لا سبيل إلى التجديد والتحديث إلاّ من داخل التراث نفسه وبوسائله الخاصة وإمكاناته الذاتية أولاً. أما وسائل عصرنا المنهجية والمعرفية فيجب أن نستعين بها فعلاً (الجابري، 1992، ص568). وهنا لم يتحرج الجابري في استخدام بعض الأدوات المنهجية والمرجعيات المعرفية الغربية، من قبل مفهوم العقلانية، والقطيعة المعرفية ومفهوم البِنْيَة، وغيرها من المفاهيم التي تعود في أُصولها إلى حقول علمية غربية حديثة.

يخلص الجابري إلى أن الأسس التي يُبنى عليها المشروع النهضوي العربي لا بُدّ لها أن تنطلق من داخل التراث نفسه، وإعادة أشكلة مضامينه وقضاياه، عبر استعادة تقاليد العقلانية النقدية العربية الإسلامية، التي سبق لها وأن انتجت خطاباً فكرياً جديداً في الأندلس والمغرب، مع فلاسفة من طراز ابن حزم وابن رشد والشاطبي وابن خلدون. فبواسطة هذه العقلانية يكون بمقدورنا إعادة بناء العقل العربي من داخل الثقافة التي ينتمي إليها، كما وأن نتوفر على الشروط الضرورية لافتتاح عصر تدوين جديد أو مُجدد في هذه الثقافة. (الجابري، 1992، ص552).

وهكذا فإن الجابري طرح مشكلة التراث العربي الإسلامي، ومسألة معاصرته لنا في شؤون حاضرنا ومستقبلنا وكيفية قراءته وفهمه، ضمن إطار أوسع تخص إشكالية بنيه العقل العربي القديم والمعاصر، ولكن أيضاً بموازاة ما تفرضه علينا التقاليد المعرفية الخاصة بالمنهجيات الحديثة في علوم الإنسان والمجتمع.

إن جزءاً من مشكلة التراث مُتضَّمن في مبررات حضوره الكبير في الفكر العربي المعاصر، على أن هذه المبررات تلتقي عند هدف أكيد، ألا وهو إعادة إنتاج معرفتنا اللازمة بذاتنا، والانخراط الواعي في مشروع حضاري، يكون مرجعية مجددة

لعلاقاتنا الاجتماعية والسياسية والثقافية. (الكبسي، 1989، ص135).

التراث ومُشكل النهضة:

ربط الجابري مشروعه في التراث ونقد العقل العربي مع مشروح النهضة العربية الحديثة والطريق المؤدية إلى هذه النهضة، واستيقن أن جميع الثورات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي مهدت للنهضة عند الأمم كانت مقترنة دائماً بالتراث، عادت إليه وقرأته قراءة جديدة مستوحاة من قضايا عصرها، قرأت الماضي بعيني الحاضر وشؤونه. (ندوة، 1986، ص137).

وفي الوقت الذي ذهب فيه إلى ربط التراث بمشروع النهضة، فإنه تطلع إلى إعادة تأسيس التراث تأسيساً عقلانياً فاعلاً ومُنتجاً. ولكنه رأى من جانب آخر أن الثقافة العربية منذ عصر التدوين لا تُعْنَى بإنتاج الجديد، بل بإعادة إنتاج القديم وترميمه، الأمر الذي أفضى إلى شيوع حالة "الفهم التراثي للتراث" (الجابري، 1999، ص15).

ولمّا كان من شأن ذلك إعاقة مسار النهوض، فالأمر يتطلب استدعاء الحداثة وفتوحاتها الفكرية والمنهجية، ليتم تجاوز آليات الفهم التراثي للتراث في الثقافة العربية المعاصرة، وإنتاج رؤية عصرية في التراث. (الجابري، 1999، ص15).

تتطلب عملية نقد العقل العربي ومكوناته، القطيعة مع حالة الفهم التراثي للتراث، وبضمنه تفكيك بنية العقل المتحدر إلينا من عصر الانحطاط الفكري، والتخلص من امتدادات هذا الفهم في الفكر العربي الحديث والمعاصر. (الجابري، 2006، ص20، الجابري، 1999، ص24-25).

وفي هذا الخصوص لا يجحد الجابري بأن التراث امتلك لدينا شحنة وجدانية وبطانة أيديولوجية، ما أدَّى إلى أن تشكلت لدينا نظرة سحرية ضبابية له، فلم يعد التراث بالنسبة للذات العربية الحاضرة موضوعاً لها، فهي لم تعد تمتلكه معرفياً بقدر ما تعيش حالة استسلام له، وإذعان لا مشروط لإرادة خطابه المعرفي. (الجابري، 1999، ص16، 23، 25).

انقلب الوضع معكوساً في صورة تعاملنا مع التراث، فمن وضعية أن التراث يبقى دائماً موضوعاً للذات إلى وضعية أن الذات تصبح موضوعاً للتراث (الجابري، 1999، ص47/الجابري، 2016، ص17)، ما أفقد الفكر العربي الحدّ الأدنى من الموضوعية، وجاءت بالتالي "قراءته للتراث قراءة سلبية تنزه الماضي وتقدسه، وتستمد منه الحلول الجاهزة لمشاكل الحاضر والمستقبل، " فكل تيار من تيارات الفكر العربي" له سلف يتكئ عليه. وهكذا يقيس العرب مشروع نهضتهم من نوع الماضي، إمَّا الماضي العربي الإسلامي، وإمَّا الماضي – الحاضر "الأوروبي". (الجابري، 2006، ص19).

وعلى مستوى المعرفة العلمية فيبدو أن هذه القراءات أحبطت كلاً من الموضوعية والمنهج الصحيح في مقاربة التراث، وأعاقت فهمنا لكل من التراث والنهضة على حدّ سواء، ولما كان علينا أن نُسلِّمَ بأن التراث قد يكون في أحد وجوه مقارباته مُؤسِساً للنهضة، فإن طريق الرشادة المعرفية والمنهجية يرتبط بنظر الجابري، بعملية إجرائية من شأنها أن ترتب نتائج مهمة على هذا السبيل ولكن كيف يكون ذلك ممكناً بحسب الجابري؟

سنجد أن الأمر كلّه يتعلق عند الجابري بالانفصال عن التراث من خلال طريق الاتصال به، وتلك عملية إجرائية ومنهجية تخص آليات القراءة والفهم. فهو إذاً يعتقد باستحالة الفصل مع التراث من دون خطوة سابقة تتمثل بالوصل مع التراث، لأننا عاجزين عن النهوض أو التقدم بمحض استعارة النماذج واللغات والأزمنة التي تحققت خارج التحقيب الخاص بتاريخنا، وفي المقابل يمكننا القيام بتطوير ذاتنا بالانخراط في تاريخها الخاص، أي بتراثها (عبد اللطيف، 1980، ص13)، بقصد تجاوز التراث ومشكلاته المعرفية والتاريخية التي خدمت أغراضها السابقة، وليس من أجل تبرير نداء القطيعة معه.

يتطلب هذا الموقف المعرفي الجديد بالتراث تحقيق قراءة تتصف بغرضين.

الأول: تصيير المقروء (التراث) معاصراً لنفسه على مستوى الإشكالية والمحتوى المعرفي والمضمون الأيديولوجي، باعتبار أن هذه العناصر لازمت أغراضها وأهدافها التاريخية والفكرية في عصرها، فاستجابت بصورة أو بأخرى لهموم ومشكلات المجتمعات العربية الإسلامية في وقتها. وهذه هي القراءة الموضوعية.

الثاني: تصيير المقروء (التراث) مُعاصراً لنا، على مستوى الفهم والمعقولية، بحسبان أن المعقولية عند إنجازها في المقروء، تعني نقل التراث إلى مجال اهتمام القارئ، ما قد يفتح الممكن

التاريخي، ومن ثم توظيف التراث في عملية إغناء الذات أو إعادة بنائها وصولاً إلى لحظة النهضة. (الجابري، 1999، ص47).

ما يأمله الجابري، هو "جعل المقروء (التراث) مُعاصراً لنفسه بفصله عنا، وجعله معاصراً لنا بوصله بنا. فقراءتنا تعتمد على الفصل والوصل (الجابري، 2006، ص12). إذ المؤكد عنده أن مثل هذه القراءة تجعل من التراث القديم معاصراً لنا، بمعنى أنه يُساهم في قضايانا المعاصرة. بيد أن المشكلة التي حسبها من أعوص المشاكل تكمن في خضوع التراث للعديد من الاسقاطات الأيديولوجية من لدن الدارسين العرب، ما منع أو عرقل على الأقل تمثله، وقراءته قراءة موضوعية، أما السبيل إلى تجاوز هذا المعضل الأيديولوجي، فهو بنظر الجابري معالجة مسألة الأيديولوجيا على مستويين.

1- مستوى معالجة تاريخية التراث والفكر المنتج، من ناحية ارتباطه بواقع اجتماعي سياسي وثقافي يعكس بالنتيجة مضموناً أيديولوجيا، أو أنه يخدم وظيفة أيديولوجية لحقت بالتراث المنتج في التاريخ الخاص بالإسلام ومجتمعاته.
2- مستوى فحص وتعميق النظر في دواعي حضور العامل الأيديولوجي وأسبابه عند أولئك الذي ينهمكون في دراسة التراث ويفككون مضامينه.

يتحقق الجابري في المستوى الأول بأن "المضمون الأيديولوجي الذي يحمله هذا الفكر (التراث)، لا يمكن الرجوع فيه إلى غير هذا الفكر نفسه، لأن المطامح السياسية والاجتماعية التي تعبر عنها أيديولوجيا معينة، كثيراً ما تكون متقدمة أو متخلفة، ليس فقط عن المادة المعرفية التي نوظفها، بل أيضاً عن لحظة التطور الاجتماعية التي تظهر فيها" (الجابري، 2006، ص34، عبد اللطيف، 1980، ص130).

معنى ذلك أن التراث لا بُدّ له من أن يعبِّر عن حالة تاريخية الفكر المُنتج، ولا تنفصم عُراه عن الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي، الذي يمثل بدوره الأطر المعرفية الخاصة بأولئك الذين انتجوه، علماً بأن أي حقل تاريخي لفكر معين يُحدد بعاملين اثنين.

- الحقل المعرفي (الإطار المعرفي) الذي يتحرك فيه هذا الفكر، وبضمنه الجهاز التفكيري المشتمل على (مفاهيم، تصورات، منهج ورؤية).

- المضمون الأيديولوجي الذي يحمله ذلك الفكر، باعتباره الحامل للوظيفة الأيديولوجية التي يمنحها أصحاب الفكر للمادة المعرفية الخاصة بحقل معرفي مُعين. (الجابري، 2006، ص31).

يُناقش الجابري ويبرر بشأن العامل الثاني بصريح العبارة مُسوّغات حضور العامل/الهاجس الأيديولوجي لدينا عند قراءة التراث، ويُحاجج حول ضرورة إعادة مَوْضَعة العامل الأيديولوجي في دراسة قضايا التراث والفكر المعاصر، باعتبارها قضايا مشبعة بالأيديولوجيا بطبيعتها، ولكن على أن يتم هذا وفقاً لأساس معرفي صريح، يلتزم بالموضوعية والمنهجية العلمية (الجابري، 1999، ص42).

وإذا كان التراث محكوماً بحضور متناقض في الذات العربية، يتراوح بين ثقل الحضور الأيديولوجي، وبين ثقل بُعده الموضوعي التاريخي عن اللحظة الراهنة التي تخصنا، فإن السؤال يكون، إلى أي حدّ يمكن تحقيق القراءة المُحققة لِشَرطَيِّ الموضوعية والمعقولية، وهما الشرطان اللذان يجعلان التراث معاصراً لنا، عبر إعادة وصله بنا. (الجابري، 1999، ص47).

مع أن الجابري يُقر بأن القراءة العلمية والموضوعية تقتضي إجرائياً انفصال الدارس عن التراث عند لحظة قراءته، إلاّ أنه يرى بأن ما يقوم به الدارس لا يقتصر على مجرد الدراسة، فنحن بالأحرى ندرسه لكي نُعيده إلينا، فنحن "لا نُمارس نقداً حيادياً، بل نوعاً من النقد الذاتي، فنحن ندرس التراث من أجل أن نوظفه في إعادة بناء ذاتنا القومية، وليس فقط من أجل أن نفهم موضوعاً من الموضوعات. (ندوة، 1986، ص140).

إن إيمان الجابري بحقيقة حضور الدافع الأيديولوجي في دراسة التراث، لا يحول دون التحرر من ثقل هذا الحضور، هذا التحرر الذي يتطلب ابتداءً وعينا بحضوره وعدم الاستسلام لهذه الأيديولوجيا استسلاماً كلياً. (ندوة، 1986، ص141).

يخلص الجابري من بعد إلى أن جميع النهضات عبّرت أيديولوجيا عن بداية انطلاقها بالدعوة إلى الانتظام في تراث، وبالتحديد إلى العودة إلى الأصول، عبر ما يُسمَّى بـ "الميكانزم النهضوي" (الجابري، 2005، ص21). وهذا أمر لا يخص العرب وحدهم في علاقتهم مع تراثهم، بل يخص كل المجتمعات التراثية، التي تطلب النهضة، ولذا فإن السؤال النهضوي، لا يمكنه التنكر للماضي ككل، بل بالعكس، فهو وإن كان ينطلق

من نقد الحاضر فهو كذلك يحتمي بالماضي الأصيل ليوظفه لصالح النهضة.

مشكلة الأصالة والمعاصرة:

تُعدُّ المشكلة المُثارة في الفكر العربي الحديث والمعاصر والمسمّاة بـ، (الأصالة والمعاصرة)، مشكلة فرعية عند الجابري، كونها ترتبط بالتراث بالمعنى الواسع، وتخص الكيفية التي يكون بمقدورنا معها قراءة التراث بموازاة الفكر العالمي المعاصر، وفهمه وفق رؤية معرفية شمولية وتاريخية.

يبدأ الاستشكال المعرفي لدى الجابري، من خطوة ترسيم حدود القراءات الممكنة للتراث، وثمة في هذا الخصوص ثلاث قراءات ظهرت في الفكر العربي الحديث والمعاصر، أولها "القراءة التراثية للتراث" وثانيها "القراءة التراثية للعصر"، وثالثها "القراءة العصرية للتراث". وكل قراءة تقدم نفسها باعتبارها قراءة عصرية للتراث ينبغي لها أن ترسم هدفاً واضحاً وثابتاً، هو تجنب الوقوع تحت سلطة يمكن أن تفضي إلى قراءة تراثية للعصر. (الجابري، 1999، ص50).

إذا كان سؤال التراث يستدعي تواً مشكلة المعاصرة، فإن سؤال المعاصرة لا يستقيم من دون فهم مشكلة التراث. المعضلة بالنسبة للجابري تتمثل في حقيقة أن العرب يمتلكون تراثاً ثقافياً حيّا في نفوسهم وعقولهم ورؤاهم. وما يزيد الصعوبة في هذا الأمر هو حضور التراث في الوعي واللاوعي، بالترافق مع الوطأة الثقيلة لتدخل العامل الخارجي المتمثل بالغزو الاستعماري، وما رافقه من ردود فعل ظهرت بوجه خاص بالعودة للتراث والدعوة إلى الأخذ به سلاحاً أيديولوجياً لمقاومة تحديات التوسع الاستعماري وإكراهاته المادية والفكرية (الجابري، 1985، ص47).

بالنسبة للجابري فإن استيثاقه يذهب إلى أن كل من يطلب القطيعة الكاملة مع التراث والتماهي مع الحداثة بصورة مطلقة، فهو إنما يعتقد أو يزعم كونية اللحظة التاريخية للحداثة في صورتها الغربية، ويتجاهل بداهة أن الحداثة في حقيقتها صيرورة تبقى محكومة بشروط تحولات تاريخية ما، وإذن يجب فهمها في نطاق نسبيتها وتاريخيتها. وإذا كان التاريخ نسبياً، فإن الحداثة بدورها نسبية وتاريخية، لأن جزءاً مهماً منها بالفعل صار اليوم تراثاً، حتى بالنسبة للفكر الغربي، وعليه فليس ثمة حداثة واحدة مطلقة، كلية وعالمية، وبالحري توجد حداثات تختلف من وقت لآخر، ومن مكان لأخر، ومن تجربة أو خبرة إلى أخرى وتختلف من مجتمع إلى آخر. (الجابري، 2006، ص11).

لا يقتضي طلب الحداثة خاصَّتنا ونجوزها، حكماً رفض التراث أو اطراحه جانباً كنوع من المقايضة الثقافية والحضارية، إلا أن الموقف المعرفي عند الجابري يتطلب الارتفاع بمستوى التعامل مع التراث وصولاً إلى لحظة المعاصرة ومواكبة العصر (الجابري، 2006، ص15). بيد أن الحداثة في الفكر العربي المعاصر لم ترتق بعد إلى هذا المستوى، بسبب طلبها لمشروعيتها ومصداق خطابها من الحداثة الأوروبية، المصيّرة مرجعاً وأصلاً في هذا الفكر (الجابري، 2006، ص15).

وفي ضوء محاولته فك الالتباسات المعرفية والأيديولوجية بخصوص مُشكل الأصالة والمعاصرة، ذهب إلى طرح المشكلة من جانبها الأوسع، وهو الحداثة، فوجد أن طريقها الصحيح يتطلب الانتظام النقدي والمعرفي في الثقافة العربية، بهدف تحريك ميكانزم التغيير من الداخل، وصولاً إلى حالة حداثة في المنهج وحداثة في الرؤية. (الجابري، 1999، ص42).

وبالنظر إلى انتفاء مثل هذا الانتظام النقدي، على الرغم من بداهة أن التراث يشكل بالنسبة لنا منطلقاً ومُرتكزاً إلزامياً على أساس امتلاكنا معرفة علمية موضوعية به، وبالنظر إلى افتقاد الفكر العربي المعاصر إلى الممارسة العقلانية، (بغورة، 1988، ص10) فإن هذه الحيثيات جمعها منطق الضرورة في دواعي وأسباب طرح مشكلة الأصالة والمعاصرة، أو بصورة أعم مشكلة التراث والحداثة برؤية جديدة.

إن ما ميّز مشكلة الأصالة والمعاصرة، أنها تُطرح في الفكر العربي المعاصر، انطلاقاً من اعتبارها مشكلة اختيار بين الأنموذج الغربي الحداثي وبين التراث، ولكن يبدو أنها أحدثت استشكالاً أكبر يخص الحداثة عموماً، فإذا كانت الحداثة واقعاً حاضراً بقوة، فكيف السبيل إلى التعامل مع التراث، أو بعث أسباب النهوض بواسطته وفي الوقت نفسه الاستجابة إلى داعي الحداثة.

ومع ذلك فإن مشكلة الأصالة والمعاصرة كانت نفسها مطروحة أمام جمهور المثقفين منذ القرن التاسع عشر. وكانت مجادلات الرواد المحدثين من مفكري العرب تدور حول الموقف

الذي ينبغي أن نتخذه من التراث الماضي ومن علوم العصر تنتمي إلى صميم المشكلة. (زكريا، 2006، ص79)

بيد أنه من جانب آخر يبدو أن مسألة الأصالة والمعاصرة في الفكر العربي الحديث لم تطرح في الوعي النهضوي انطلاقاً من موقف الرفض للحضارة الغربية، وإنّما بالأحرى طُرحت في إطار السؤال النهضوي المحوري في هذا الفكر، سؤال "لماذا تأخرنا نحن العرب/ المسلمين، ولماذا تقدم غيرنا أوروبا الغرب" وبالتالي يكون السؤال اللاحق. كيف ننهض؟ كيف نتقدم (الجابري، 1985، ص35).

بيد أن المؤكد هو أن الحيرة والانقسامات التي عرفها العربي بين التراث والحداثة، ازدادت حّدة نتيجة انقطاعين تاريخيين، هما، "انقطاع الإسلام الحديث بالقياس إلى الإسلام الكلاسيكي في أعلى ذُراه الفكرية والإبداعية، والانقطاع التاريخي للعالم العربي – والإسلامي بالقياس إلى أوروبا الحديثة" (أركون، 1999، ص119).

نقد الجابري قراءات التراث المعاصرة.

تُعُّد مسألة المنهج الذي نتخذه في دراسة التراث منطلقاً حاسماً في تأسيس الجابري لرؤيته النقدية للقراءات الحاصلة في الفكر العربي المعاصر. ورؤيته هذه تطال بالذات صورتي المعرفة بالتراث السائدتين في الثقافة العربية. الأولى، الصورة التقليدية في قراءة التراث، وهذه يصطخب صداها لدى خريجي المعاهد والجامعات التقليدية كالأزهر والزيتونة والقرويين ومن لم لَفَّ لفِهما. وتتشخص المعرفة بالتراث عند هؤلاء في فروعه الدينية والأدبية واللغوية ولا تجاوزها نحو حقول الفكر والفلسفة، ويعتمد منهجهم على "الفهم التراثي للتراث"، مثلما أَنهم يستغرقون جهودهم في تبني أقوال الأقدمين كما هي، وهذا هو المنهج الإستنساخي. أَما عيوبه فتتمثل في (الجابري، 2006، ص20).

– غياب الروح النقدية في دراسة التراث وقضاياه.

– الافتقاد إلى النظرة التاريخية (تاريخية هذا المُنجز).

– اعتبار التراث مطلقاً ونهائياً وناجزاً بالتمام. ولا حاجة بنا للتمحيص الشديد لنكتشف أن التراث عند هؤلاء يكرر نفسه بصورة مدرسية، مثلما أن الفكر يعيد إنتاج نفسه بصورة دورية (الجابري، 2006، ص21، الجابري، 1999، ص75).

أما الصورة الثانية للمعرفة بالتراث، فتتمثل بالقراءة الاستشراقية، وبمن انتهج منهجها من الباحثين العرب المعاصرين. ويطرح الجابري موقفين نقديين على هذه القراءة.

– تأكيده وجود علاقة مُضمرة أو صريحة بين الظاهرة الاستشراقية والظاهرة الاستعمارية، من حيث تسليطه الضوء على حيثيات الصراع التاريخي بين المسيحية والإسلام في القرون الوسطى، تلك الحيثيات التي تُؤسس لكثير من المطاعن التي وجهها بعض المستشرقين للتراث العربي الإسلامي، وأَخصها نفي الِجَّدة والأصالة عنه، كونه ينحدر من العقلية السامية، المتصفة بنظرهم بالعقم والجمود، سواء في حقل الفلسفة أم العلم. (الجابري، 2006، ص14).

– تأكيده أن الشروط الموضوعية التي وجّهت الباحثين الأوروبيين، تنطلق من فكرة تحقيب التاريخ في مسار ثابت يخص المركزية الغربية، وهدفهم "إعادة كتابة التاريخ الثقافي الأوروبي بصورة تحقق له الوحدة والاستمرارية بلا انقطاع، (الجابري، 2006، ص14، الجابري 1999، ص27) وجعله بمثابة التاريخ العام للفكر الإنساني، وكان هذا السعي يتم في إطار المركزية الأوروبية. ويتصل بهذه القراءة بشكل أو بآخر بعض المثقفين العرب المعاصرين الذين تكوَّنوا فكرياً في إطار الهيمنة التي يُحرزها الفكر الأوروبي الحديث.

نظر الجابري في النتاج الثقافي لدى التيارات الفكرية التي درست التراث، أخصُّها (التيار السلفي (التقليدي)، التيار الليبرالي، التيار الماركسي، واستيقن أنها تيارات (سلفية) على الرغم من تعبيرها عن منطلقات فكرية ومنهجية متباينة، فجميعها بالنسبة إليه أنجزت قراءات سلفية، حيث أن كل تيار له سلف ينتمي إليه، سلفية ماضوية تاريخية (التيار السلفي)، أو السلفي الماركسي (التيار الماركسي)، الذي أَنجز قراءة هدفت إلى تطبيق السلف الماركسي للمنهج الجدلي في قراءة التراث، وكان الهدف هو البرهنة على صحة المنهج المطبّق لا على تطبيق المنهج، أو السلفي الليبرالي (التيار الليبرالي) الذي نظر إلى التراث انطلاقاً من الحاضر الذي يعيشه حاضر الغرب الأوروبي (الجابري، 2006، ص16).

بخصوص التيار السلفي، فهو يُعدُّ أشدّ التيارات الفكرية انشغالاً أو اشتغالاً بالتراث، أهتم في استثماره أو استعماله في سياق قراءة أيديولوجية سافرة أو صريحة، غرضها إسقاط صورة المستقبل المنشود– المستقبل الأيديولوجي – على الماضي،

وتزيًّا هذا التيار بلبوس حركة دينية سياسية إصلاحية، تنادي بالتجديد وترك التقليد (الجابري، 2006، ص16-19).

لكنه ما لبث أن ارتد مع صعود الخطاب الإسلامي أو السلفي أو الأصولي، نحو قراءة سلفية أيديولوجية، منخرطة في نضالية محمومة، نحو تأكيد حضور – الذات وقد تحولت من وسيلة إلى غاية، وهكذا "فالماضي الذي أُعيد بناؤه بسرعة قصد الارتكاز عليه (النهضة)، أصبح هو نفسه مشروع النهضة". (الجابري، 2006، ص17).

مثل هذه القراءة أَجدر أن يكون شأنها أَنها لا تاريخية، وتنتج نوعاً واحداً من فهم التراث (الفهم التراثي للتراث)، وهي من بعد مستغرقة تماماً فيه، ولا يمكنها وضع مسافة تمفصل عنه، لكي تقرأه وتحتويه بدلاً من أن يحتويها.

أما ما يتعلق بالقراءة (السلفية الليبرالية)، على اختلاف تكويناتها في الثقافة العربية الحاضرة، فأصحابها ينظرون من الحاضر المعيش اليوم، وهو حاضر الغرب الأوروبي، ويقرأون التراث والحاضر بنزعة حداثية أوروبية، ولا يرون فيهما (الحاضر والتراث) إلاّ ما يراه الباحث الأوروبي. (الجابري، 2006، ص18-19).

يقتضي الإيضاح أن الجابري يخصّ في جانب من هذه القراءة، تقاليد القراءة الاستشراقية في نطاق امتداداتها عند المثقفين والأكاديميين العرب الذي يقودون ممارسة معرفية أشبه ما تكون بسلفية استشراقية، فيما هم يقدمون قراءاتهم كما لو أنها قراءات علمية تتوخى الموضوعية (الجابري، 2006، ص18).

مُؤدَّى القول في هذه القراءة، أنها تستند إلى قراءة بتراث لتراث مقابل تحت هيمنة حتمية قراءة العرب لتراث من قَبلهم، مثلماً أنه يتوجب تقليد تاريخانية الحداثة والفكر الأوروبي منذ التنوير، وبذلك يبدو المستقبل الآتي للعرب وللثقافة العربية مشروطاً حصراً باستيعاب الحاضر الأوروبي وتمثّله. وغني عن القول أن منزلق هذه الصورة الحصرية للمعاصرة المحكومة بتاريخانية أوروبية، هو تحولها إلى شكل من أشكال الاستلاب الخطير للذات العربية الباحثة عن استقلالها التاريخي.

وبالعطف نحو قراءة التيار الماركسي العربي للتراث، انطلاقاً من أدوات المنهج الجدلي الذي يعتبره أساساً لهذه القراءة، فالجابري ينقد هذا التيار لأنه يشخِّص التراث باعتباره منتوجاً يعكس الصراع الطبقي من جهة، وميداناً للصراع بين الأسس المادية والأسس المثالية من جهة أخرى. إن غرض هذه القراءة الماركسية للتراث هو تعيين الأطراف المتصارعة (أو الفاعلين الاجتماعين) وتحديد مواقعهم من هذا الصراع المضاعف وهذا غرض يندّ أو يحيد عن غرض فهم التراث ودراسته دراسة علمية.

ذهب الجابري إلى خلاصة نقدية تخصّ القراءات السابقة، مفادها، أن هذه القراءات موسومة بآفتين، أولاهما، آفة المنهج، وافتقاده إلى الحد الأدنى من الموضوعية، وثانيهما آفة الرؤية، وبها يغيب الفهم التاريخي، وهكذا فاللاتاريخية والافتقاد إلى الموضوعية ظاهرتان متلازمتان في هذه القراءات (الجابري، 2006، ص20) وإذا نظرنا إليها من زاوية المعرفة بالتراث فنحن واجدون أنها "لا تختلف جوهرياً عن بعضها البعض من الناحية الإبستمولوجية، وهي مؤسسة على طريقة واحدة في التفكير سماه الباحثون العرب القدامى بـ "قياس الغائب على الشاهد" الجابري، 2006، ص21). فهي سواء في شاهدها وغائبها.

التراث والمنهج البديل

تؤسس قراءة الجابري للتراث، وكذلك نقده للقراءات، لقضية المنهج الذي يقترحه للتعامل مع هذا التراث. ويبدو أن المسألة، ليست مسألة مُفاضلة بين هذا المنهج أو ذاك من المناهج الجاهزة، بل تخص "فحص العملية الذهنية التي سيتم بواسطتها ومن خلالها تطبيق المنهج... المسألة الأساسية هي نقد العقل لا استخدام العقل بهذه الطريقة أو تلك (الجابري، 2006، ص24). المنهج هو أداة يستخدمها العقل، وعليه فإن تجديد العقل العربي، يحتل الأولوية ونقطة البدء عند الجابري.

وضمن نطاق فهم تاريخية هذا العقل والأُطر المعرفية الخاصة باشتغاليته، فإن الجابري يعتقد بأن العقل العربي وقع في إسار منهج آلية القياس بشكله الميكانيكي، وعليه فإن حُجيِّة القياس بدورياتها المتكررة في الفكر العربي تّشكل خطورة تصيب أساس المنهج المستخدم في قراءة التراث، من حيث أن مشكلة القياس تؤدي إلى "تداخل بين الذات والموضوع، قد يؤدي إمّا إلى تشويه الموضوع، وإمّا إلى انخراط الذات فيه انخراطاً غير واعٍ، والغالب أن يحصل الاثنان معاً. وعندما يكون الموضوع هو التراث فإن النتيجة هي اندماج الذات فيه (الجابري، 2006، ص24).

يقرر الجابري مسألتين بخصوص المنهج في دراسة التراث، هما:

– طبيعة الموضوع وهي التي تحدد المنهج ونوعيته.
– الموضوعية والمعقولية، باعتبارهما شرطي القراءة العلمية للتراث.

تهدف الموضوعية إلى جعل التراث معاصراً لنفسه على صعيد الإشكالية النظرية والمحتوى المعرفي والمضمون الأيديولوجي، ما يقتضي معالجة التراث ضمن شروط بيئته ومحيطه من جوانبها المختلفة، أما مضمون هذه الموضوعية، فيتمثل في فصل الموضوع عن الذات والذات عن الموضوع، ويقصد بالموضوعية الفصل المنهجي الإجرائي، أي كتقنية إجرائية يترتب عليها نتائج معرفية. على أن هذه الموضوعية بالنسبة للجابري تفرض نفسها على مستويين اثنين، مستوى العلاقة الذاهبة من الذات إلى الموضوع، وتعني فصل الموضوع عن الذات، ثم مستوى العلاقة من الموضوع إلى الذات، حيث الموضوعية تعني فصل الذات عن الموضوع. وبالنتيجة فإن تحقق الموضوعية على المستوى الأول مشروط بتحققها على المستوى الثاني. (الجابري، 2006، ص26).

الجابري بإصراره على مسألة فصل الذات القارئة عن الموضوع المقروء، فضلاً عن كونها مقتضى منهجياً علمياً، فإنه يرى بأن الإنسان العربي يحتويه تراثه بصورة تُفقده استقلاله وحريته، كما أن العربي كذلك مُثقل بقضايا حاضره، ويطلب السند من تراثه الذي يقرأ فيه آماله وطموحاته، ولذا فهو يبحث فيه عن المعنى الذي يستجيب لحاجاته. (الجابري، 2006، ص26).

تحتاج إجرائية فصل الذات عن الموضوع أو الموضوع عن الذات إلى ثلاثة عمليات منهجية هي:

أولاً: المعالجة البِنيوية للتراث. من حيث أن فصل الذات عن الموضوع ينبغي أن يُستتبع بخطوة تساهم بإعادة الانطلاق من الموضوع كمعطى مستقل له هويته وتاريخيته. هنا يأتي دور المعالجة البِنيوية التي تركز على التعاطي مع فكر مؤلف النص بشكل عام، فالفكر يخضع لثوابت متضمنة فيه. ويغتني بكثرة التحولات التي تتم حول محور واحد. ومن شأن هذه الإجرائية المنهجية أن تمحور فكر صاحب النص حول إشكالية واحدة واضحة قادرة على استيعاب جميع التحولات التي يتحرك بها ومن خلالها صاحب النص (الجابري، 2006، ص 28/ الجابري، 1999، ص32)، كما أنها تفرض دراسة النصوص كما هي مُعطاة لنا، وبالتالي التعامل مع هذه النصوص، كَمُدَّوَنَة كلية تخضع لنظام من الثوابت. (الجابري، 2006، ص28).

– ثانياً. التحليل التاريخي الذي يُعنى بربط النص/ الفكر وصاحب النص في مجاله أو إطاره المعرفي التاريخي بجميع أبعاده الثقافية والأيديولوجية والسياسية والاجتماعية، ليس بهدف خلق فهم تاريخي للفكر المبحوث فقط، وإنما أيضاً اختبار صحة النموذج البِنيوي الذي قدمته مثل هذه المعالجة البِنيوية للفكر. (الجابري، 1985، ص9–19).

مثل هذه العملية تسعى إلى التوصل لفهم تاريخي للفكر الذي هو موضوع الدرس. والتوقف عند الإمكان التاريخي يعني الكشف عن ما قد "يتضمنه النص، وما لا يمكن أن يتضمنه، وبالتالي يساعدنا على التعرف على ما كان في إمكانه أن يقوله ولكنه سكت عنه" (الجابري، 1999، ص32).

إن ربط فكر صاحب النص في نطاق التاريخية يحقق فائدة إبستمولوجية وأخرى منهجية، لجهة فهم تاريخية الفكر موضوع الدراسة، وكيفية تكّونه أولاً، ثم ثانياً لجهة اختبار صحة المعالجة البنيوية التي تسبق خطوة التحليل التاريخي.

ثالثاً: الطرح الأيديولوجي. ويُقصد منه الكشف عن الوظيفة الأيديولوجية (الاجتماعية والسياسية)، التي أدّاها الفكر/ التراث المدروس. وهذا الكشف عن أيديولوجيا الفكر الذي تحركه المطامح السياسية والاجتماعية، يعد الوسيلة الوحيدة لجعله معاصراً لنفسه، مرتبطاً بعالمه، وأخيراً إعادة التاريخية إليه. (الجابري، 2006، ص29–30).

يبقى أن نقول بأن عمليتي فصل الذات عن الموضوع وكذلك فصل الموضوع عن الذات، هما عمليتان متداخلتان في المنهج عند الجابري، وتشكلان معاً اللحظة الأولى في هذا المنهج، وهي طلب الموضوعية في قراءة التراث. (الجابري، 2006، ص26–27).

ما هو المُبتغى الذي يتحقق من خطوات المنهج كما اقترحها الجابري؟ الجواب يتمثل بنتيجتين:

1– تحقيق الموضوعية التي توفرها عملية الانفصال، ومن ثم الاتصال أو التواصل مع التراث لمعالجة فكرة استمراريته في شؤون الحاضر، وكذا كيفية هذه الاستمرارية وطبيعتها، وبمعنى آخر التحقق من إمكانية "جعله معاصراً لنا على صعيد الفهم والمعقولية، وأيضاً على صعيد التوظيف الفكري والأيديولوجي"

(الجابري، 1999، ص47،33).

2- تصيير التراث موضوعا لنا بدلاً من سريانه موضوعاً فينا، بمعنى أن يقدم نفسه ذاتاً لنا، فنحن الذين ننوب عنه في فهم العالم، بدلاً من تركه ينوب عنا، بمعنى آخر التحرر من سلطته علينا. (الجابري، 1999، ص 47).

إن من شأن عناصر المنهج التي أشار إليها أن تقود إلى عناصر الرؤية، وحدة الفكر ووحدة الإشكالية. ويعني بالإشكالية "منظومة من العلاقات التي تنسجها داخل فكر معين، مشاكل عديدة مترابطة لا تتوافر إمكانية حلّها منفردة ولا تقبل الحل – من الناحية النظرية – إلا في إطار حل عام يشملها جميعاً. (ندوة، 1986، ص137-138).

اقترح الجابري منهجاً بنيوياً تحليلياً لدراسة التراث ينظر في الموضوعات والقضايا لا بوصفها مجرد "مركبات"، وإنما بوصفها "بُنى" (من بنية). لكشف الغطاء عن العلاقات التي تقوم بين عناصرها، باعتبارها منظومة من العلاقات الثابتة في إطار بعض التحولات (الجابري، 1999، ص47). ويُعنى منهج تحليل البنية بتحويل البنية إلى لا بنية، بإخضاع النص للتشريح الدقيق والعميق، لكي تتحول إلى مادّة للقراءة، بطريقة يتحصَّل معها النص على استقلالية هويته التاريخية، ولا يبقى مجرد تحولات لثوابت البنية. (الجابري، 1999، ص37-48).

وبنظر الجابري فإن من خصائص هذا المنهج أنه يفكر بالتراث ليس كموقف منه، وإنما بالحري تفكير من داخل التراث، بحيث يصبح المطلوب تكوين معرفة موضوعية في التراث، وعندها نصبح في موقف امتلاك التراث كمعرفة، ما يمكن معهُ التخلص من اطلاقية التصور الأيديولوجي الذي حكم القراءات السابقة.

الواضح أن المنهج يكون وسيلة لإعادة ترتيب العلاقة بين التراث والذات الباحثة فيه، ولكن وفق اجتهاد يفضي إلى تأسيس جديد أو مجدد قوامه الخطوات الثلاث السابقة. وهي الإجراء البِنيوي المؤسَس على فكرة التعامل مع النص التراثي ككل، والتحليل التاريخي المؤسس على ربط فكر صاحب النص بمجاله التاريخي، وذلك لفهم تاريخية الفكر المدروس وأصوله التكوينية، في اختبار صحة النموذج البِنيوي المقدم قبل الإجراء البِنيوي نفسه، بمعنى التثُّبت من معنى الإمكان التاريخي لمعرفة ما يقوله النص من ناحية تاريخية، وما لا يمكنه الإفصاح عنه، أو ما كان يمكن أن يقوله وسكت عنه (الجابري، 2006، ص28).

وأخيراً خطوة الطرح الأيديولوجي الهادف إلى كشف المضمون الأيديولوجي لفكر ما وهو هنا متعلق بالنص التراثي، والكشف عن كل ما أدّاه من وظائف أيديولوجية، أو ما يطمح إلى تأديته في المجال المعرفي المنتمي إليه، لجعله من جانب معاصراً، ومن جانب آخر لإعادة التاريخية إليه وجعله مرتبطاً بعالمه (الجابري، 2006، ص29).

دَاولَ الجابري على صعيد المنهج بين مستويات عدة من المفاهيم الفلسفية المستوحاة في جُلّها من المناهج الغربية المعاصرة، من قبيل المفهوم التاريخي ممثلاً بـ"التراث" و"القطعية"، والمفهوم الأيديولوجي ممثلاً بـ "التأويل" و "القراءة" و"الموضوعية" و"الحقيقة"، ومفهوم النظام المعرفي مُمثلاً بـ"العقلانية" و"الإشكالية" ومفهوم الهوية ممثلاً بـ "الأصالة" و "الخصوصية" و"القومية".

وفي إطار سعي الجابري توظيف الدرس الإبستمولوجي الغربي المعاصر في تطبيقه المنهج البِنيوي في دراسة التراث، حرص على تجنب الوقوع تحت هيمنة إغراء هذا المفهوم، أو الخضوع إلى سلطة شيوعيته في الفكر الغربي الحديث، ففرّق بين الدرس الإبستملوجي، وبين التوظيف الإبستيمولوجي، فالإبستمولوجيا ليست المشكلة، أما مكتسبات هذا الدرس ومنجزاته، فهو ما حاول توظيفها في دراساته، واجتهد أن يكون توظيفاً إجرائياً او على الاصح تقنيا، ولكن من دون أن يكون براغماتياً بالمعنى الاصطلاحي للكلمة. (الجابري، 2006، ص24-25) فالهدف من استعمال مفهوم القطيعة الإبستمولوجية ليس ما يفهم منه لذاته بل ما يثيره من أسئلة ويفتحه من آفاق أمام الباحث (الجابري، 2002، ص14).

الواقع هو أن توظيف الإنجازات الفلسفية الغربية المعاصرة وفتوحاتها المنهجية صريح وواضح في كتابات الجابري، فقد اعتمد على هذه الكتلة من الأدوات المعرفية والأجهزة المفاهيمي المُستقاة من مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة والإبستمولوجيا العلمية في دراسة التراث.

في هذا الخصوص يُبدي اعترافه بأن المفاهيم التي تناولها، تثير مشكلة، كونها مُستدعاة من الآخر، لكنه يسجل مبُرراً يتعلق بمنطق الضرورة، فمن حيث كونها مشكلة، فالأمر يتعلق بِتَبيئَة

هذه المفاهيم، وكيفية جعلها تعيش معنا بيئتنا الثقافية وتعبر عن مُعطياتنا أو على الأقل تصلح لنا كأدوات إجرائية (الجابري، 1999، ص284)، وأما من حيث منطق الضرورة، يرى الجابري أننا عند اشتغالنا بالتراث مضطرون إلى اقتباس المفاهيم، مع ملاحظة أن "الاقتباس ليس هو التقليد والاستنساخ" (الجابري، 1999، ص284، 359).

تبقى المشكلة ماثلة من حيث قدرتنا أو عدم قدرتنا على تصيير ما نقتبسه مُلكاً لنا، بمعنى أن يصبح لنا عن طريق الأصالة وعلى سبيل الواقع، فنحن في الوقت الذي ننجز فيه اقتباسا وتُبيئه بشكل صحيح فذلك هو طريق الأصالة.

الواضح أن مثل هذه المقاربة تثير استشكالاً من نوع مختلف، ذلك أن مشكلة المفاهيم التي استخدمها الجابري، تبقى حاضرة وقائمة، إذ هي في المقام الأول مُنتَج فكري هو سليل الإبستمولوجيا العلمية الغربية المعاصرة، وبالتالي تبقى وليدة حقل معرفي بعينه في الغرب، وهو حقل العلوم الوضعية الدقيقة، وعند استعارتها من قبل المشتغل بدراسة التراث العربي الإسلامي، فإنه صائر لا محالة إلى الوقوع في خانة النقل من الدرجة الثانية إلى الدرجة الثانية. فمن المعلوم أن المفهوم قد نشأ داخل حقل تاريخ الرياضيات والفيزياء والعلوم الوضعية بصفة عامة، ثم انتقل بعد ذلك في الفكر الغربي نفسه إلى حقل العلوم الاجتماعية والإنسانية، وبعد حين لم يلبث أن حصلت له نَقْلَه ثانية من قبل فئة من الباحثين العرب المعاصرين المشتغلين بالتراث، وهؤلاء بدورهم قاموا بنقله إلى هذه البيئة المعرفية الجديدة.

قد لا تنتقص هذه المثلبة من حقيقة الجهد المخلص الذي أراد الجابري أن يبلغ فيه مرتبة النقلة المعرفية الجديدة في قراءة التراث وفهم مضامينه وأشكلتها، لأن غرضه في التعاطي مع هذا التراث بشكل عام والتراث الفلسفي الإسلامي بشكل خاص، شق طريقاً مغايراً باتجاه اقتراح منهج آخر في القراءة، من غير التضحية بالشروط العلمية للقراءة، فهو أراد أن يقدم للمقروء معنىً يكون في آن واحد ذا معنى بالنسبة لمحيطه التاريخي الخاص الفكري والاجتماعي والسياسي، وكذلك بالنسبة لنا نحن الذين ندرس التراث.

الخاتمــة

ظل النقد خاصيِّة محورية في المشروع الفكري لدى الجابري، وكان التراث متأصلاً على المدى في هذا المشروع، ومتجذِّراً فيه. وقد سارت غاية الجابري نحو هدف مقصود يتمثل بتحرير العقل العربي من سلطته المرجعية المتحكمة فيه، والتي أعاقته طويلاً وعرقلت جهوده في تحليل القضايا والمسائل المطروحة عليه تحليلاً موضوعياً نقديا، ولذلك فإنه انطلق من مشروع القراءة النقدية الجديدة للتراث، واعتمد منهجاً يصلح برأيه لأن نتجاوز أوجه القصور في القراءات الأخرى التي درست التراث.

واتضح أن الجابري لا يضع نصب عينيه هدفاً سياسيا مباشراً لمشروعه، أي أنه لا يتموضع في حقل الطرح الأيديولوجي الصريح، ومع ذلك فإنه وفي إطار محاولته فهم بنيه العقل العربي، ونقده، في ضوء حقيقة أنه عقل تستمر سلطة الأسلاف الأُول وأحكامهم ثابته فيه وفاعله في ثقافتنا المعاصرة، فإنه يُقرر بأن نقد التراث وتوظيفه مسألة صراع أيديولوجي، وليست مسألة تاريخية وحسب.

لم يعتقد الجابري أن التراث يمثل المشكلة أو العائق لكل من الفكر والنهضة، بقدر ما اعتقد أن الفكر الذي يتعاطى مع التراث هو المشكلة، ونعت المواقف والأصوات الداعية إلى رفض التراث بأنها تتبنى موقفاً لا علمياً، ولا تاريخياً، بل هو بالحريِّ موقف يُعتبر من رواسب الفكر التراثي نفسه في عصر الانحطاط.

وإذا كان الجابري قد استخدم مفهوم القطيعة، فلم يعن بها القطيعة مع التراث، بل القطيعة مع شكل من العلاقة مع التراث، لأن القطيعة خاصته التي ينادي بها، هدفها أن ننتقل من وضعية "كائنات تراثية" إلى وضعية "كائنات لها تراث". أي إلى شخصيات يشكل التراث أحد مقوماتها، المقوِّم الجامع بينها في شخصية أعم وأشمل هي شخصية الأمة صاحبة التراث. (الجابري، 2006، ص25).

لقد تعاطى الجابري مع النص التراثي كإشكالية قائمة بذاتها، ضمن إطار بنية هي بالذات بنية العقل العربي، سواء العقل الُمنْتِج للتراث، أو العقل الُمشتغل به، أو الُمستهلك له. هذه الإشكالية تعكس مضمونين متلازمين، المضمون المعرفي والمضمون الأيديولوجي. ما جعله يُموضِع المقروء (التراث) في نطاقه التاريخي، ويعالجه ابتداءً انطلاقاً من كونه في حقيقته

معاصراً لأطره المعرفية التاريخية الخاصة به (الفكرية والاجتماعية والسياسية)، قبل كل شيء. ولكون التراث يعيش فينا ومعنا وينغرس في لبّ قضايانا، فإنه يلزم تصيير هذا المقروء معاصراً لنا على صعيد الفهم والمعقولية، على أساس أن المعقولية تجعل المقروء ينتقل إلى اهتمامات القارئ المعاصرة، ومن ثم فتح الإمكان التاريخي الذي يسمح بإعادة إغنائه أو إعادة بناء ذاته.

لم يغفل الجابري المقتضيات المنهجية المتعلقة بمقاربة التراث وتحليله علمياً، وقد بشّر بالفعل في كتابه "نحن والتراث"، بتحقيق نَقلة في مقاربة التراث، تعتمد على مُزدوجي الهم الأيديولوجي، والهاجس التاريخي والفكري، وقراءة المقدمات بنتائجها، والماضي بمستقبله، وبذلك يندمج الموضوعي مع الأيديولوجي، ويتحول "المستقبل – الماضي" الذي كانت الذات المقروءة تتطلع إليه إلى "المستقبل الآتي"، وعندئذ يكون المقروءة المعاصر لنفسه مُعاصراً لقارئه. (الجابري، 2006، ص11).

إن مشروع الجابري ارتكز على بعدين رئيسين:

– بُعد منهجي يترتب عليه جانب معرفي، حاول فيه الاستفادة من المناهج الحديثة، في كل من إجرائيتي قراءة التراث ونقد العقل العربي.

– ثم بُعد النتائج التي يستخلصها عبر تطبيق منهجه في التراث العربي القديم، والكشف عن أنظمة الفكر التي انتجته لكنه لم ينشغل بالأفكار ذاتها، بقدر اهتمامه بالأداة المنتجة لها، أي بالعقل العربي باعتباره أداة الإنتاج النظري، التي صنعتها ثقافة معينة لها خصوصيتها، هي الثقافة العربية بالذات. (الجابري، 2006، ص17، 28، 29).

أخيراً، يمكن القول إن النقد الذي شكل خاصّية محورية في جُل المشاريع الفكرية العربية الحديثة، قد ميزّ هذه الجهود المبذولة في مقاربة التراث، وأطلق الفرصة لظهور تقاليد ورؤى معرفية متنافسه في الفكر العربي المعاصر، لا تزال تمارس تأثيرها منذ أزيد من أربعة عقود من الزمن.

وما هو مَدْعَاة إلى الاهتمام هو أن ما ميز هذه الجهود، الإجماع الليبرالي للفترة منذ نهاية القرن التاسع عشر (عهد النهضة) وحتى منتصف القرن العشرين. واتفق هذا الإجماع على ضرورة الالتفات إلى التراث، وإن كان يتم ذلك برؤى مختلفة، إلاّ أن هذه الرؤى متفقة على أهميته. مع الإشارة إلى أن هذا الاشتغال بالتراث أرشد في الواقع هذه الجهود إلى شيء أكثر رمزية لدور التراث في المتغير العربي الخاص بالنهضة والتقدم، ووضع جزءاً من شروط التغيير في مسار التاريخ الخاص المعاصر للفكر العربي.

بيد أن الاستنتاج الذي لا يُرَدّ، هو القول بأَن هذه الرؤى المُتباينة، وربما المتصارعة حول التراث، شكَّلتَ من زاوية ما حالة انكشاف لخطوط الصدع المتعلقة بالخلاف السياسي والأيديولوجي والثقافي على مدى أكثر من قرن ونصف من الزمان، عندما ربط التراث بمفهوم الأمة.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

أركون، محمد، 1996، ***تاريخيه الفكر العربي الإسلامي***، ط2، ترجمة هاشم صالح، بيروت: الدار البيضا. المركز الثقافي العربي.

الجابري، محمد عابد، 1985، ***الخطاب العربي المعاصر***، ط1، بيروت: دار الطليعة.

الجابري، محمد عابد، 1992، ***نقد العقل العربي (بنية العقل العربي)***، ط4، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

الجابري، محمد عابد، 1999، ***التراث والحداثة***، ط2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

الجابري، محمد عابد، 2005، ***إشكاليات الفكر العربي المعاصر***، ط5، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

الجابري، محمد عابد، 2006، ***نحن والتراث***، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

جدعان فهمي، 1985، ***نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى***، القاهرة: دار الشروق.

زكريا، فؤاد، 2006، ***الصحوة الإسلامية في ميزان العقل***، ط1، الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر.

الكبسي، محمد علي، 1986، ***قراءات في الفكر الفلسفي المعاصر***، تونس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين.

ندوة مركز دراسات الوحدة العربية، 1985، ***التراث وتحديات العصر في الوطن العربي (الأصالة والمعاصرة)***. بحث الجابري. إشكالية الأصالة والمعاصرة في الفكر العربي الحديث والمعاصر. صراع

طبقي أم شكل ثقافي)، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

ب- المجلات:

بغور، الزواوي، 1988، الجابري ومشروع نظرية في التراث والحداثة، ***مجلة إبداع***، عدد 7، القاهرة.

عبد اللطيف، كمال، 1997، سؤال التراث ومفارقة التاريخ في الخطاب العربي المعاصر، ***دراسات عربية***، عدد 6/5. السنة 33، آذار – نيسان: بيروت.

عبد اللطيف، كمال، 1980، في الدفاع عن الحداثة ونقد التراث، *دراسات عربية*، عدد 10/9/، السنة 34. تموز – آب: بيروت.

مُقابلة، 2002، محمد عابد الجابري، ***مجلّة المستقبل العربي***، عدد 4، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

ندوة، 1986، نقد العقل العربي في مشروع الجابري، ***مجلة الوحدة***، عدد 27/26 – تشرين الثاني – كانون الأول: الرباط.

Tradition, Knowledge and Method: A Study of Al-Jabri Critical Approach

Derar BaniYaseen*

ABSTRACT

This study investigates tradition in contemporary Arab thought. Al-Jabri's critical approach to Arab-Islamic traditional analyses of enlightenment and modernity was used as a case study.

Moreover, this study aims to analyze the epistemological and methodological basis of Al-Jabri's approach toward tradition; his critical; and his critique of other thinkers who dealt with such problem.

Hence, this study tries to highlights Al-Jabri's argument in order to clarify the distinctiveness of his approach from all other contemporary thinkers.

The study concludes that Aljabri's alternative analyses, based on his critical approach, related to modern methodologies which depended on various modern social and human sciences, assumes that each understanding of tradition aims at utilizing the remained valuable aspects and components of that tradition, which could play an essential role in supporting contemporary Arab issues.

Keywords: Tradition, Modernity, Critical Approach, Method, Knowledge.

* Assistant Prof., Department of Philosophy, The University of Jordan.
Received on 30/3/2017 and Accepted for Publication on 14/1/2018.